كلية : الاداب

القسم او الفرع :التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : الاستاذ الدكتور إيمان محمود حمادي العبيدي

اسم المادة باللغة العربية : الحضارة العربية الاسلامية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic civilization

اسم المحاضرة الخامسة باللغة العربية: نظام الخلافة في العصر العباسي الثاني

اسم المحاضرة الخامسة باللغة الإنكليزية: The Caliphate System in the Second Abbasid Era

الخلافة في مدة النفوذ التركي 247-334هـ

لقد كان لتقريب الاتراك وقوة نفوذهم اثار سيئة على نظام الخلافة ولعل السبب في ذلك يعود الى كون الاتراك عناصر غير متحضرة حيث يسميهم الجاحظ (بدو العجم) فلم يكن لديهم ادراك كبير في السياسة والادارة وانما كانت ميزتهم المهمة تمرسهم على القتال ولقد ظل نفوذهم قوياً خلال هذه الفترة حيث استخلف الواثق اشناس التركي على السلطنة والبسه تاجاً!! ولكن رجعت هيبة الخلافة في فترات استثنائية مثلاً زمن الخليفة المعتضد وكذلك المكتفي، وقبلهم الموقف طلحة ولي العهد للمعتمد.لقد تمرد الاتراك في عهد المتوكل فاشتدت كراهيته لهم وفكر في نقل العاصمة الى دمشق من سامراء ورحل اليها سنة 244ه الا ان اقامته لم تطل فيها حيث ادرك انه ليس بإمكان خليفة عباسي ان يعتمد على اهل الشام انصار الامويين الاوفياء، كما تمرد عليه الاتراك لاعتقادهم بأنه يخطط للاستعانة بالعرب فعاد المتوكل الى سامراء وعزم على القضاء على نفوذ الاتراك الا ان الاتراك تغدوا به قبل ان يتعشى بهم فاستطاعوا اقناع المنتصر وكسبوه الى طرفهم وتآمروا معه على قتل ابيه حيث تم لهم ذلك سنة 247ه وبايعوا المنصر بالله خليفة للمسلمين.

وهكذا نرى بأن هذه المدة تميزت بالاضطرابات وضعف الخلافة وانتشار الفتن، فلقد كان من اهم مميزات الخليفة ان يتمتع بسلامة الحواس اولاً وأن يكون ذكراً من قريش ثانياً وكانت الصفة القرشية الهاشمية مهمة خاصة وأن العباسيين استندوا حقهم في الخلافة الى كونهم من اهل البيت فاكتسبوا بهذا احتراماً وقدسية في نظر الناس وهذا يفسر عدم جرأة الاتراك في اي وقت عن اقتراح اي تعديل ولم يكن من الممكن ازالة الخليفة الا بتنازله رسمياً ولذلك كان الاتراك يختلقون مراسيم بتنازل الخلفاء دون علم الخلفاء انفسهم.

عصر امارة الامراء 324-334هـ

تطلعت الخلافة العباسية وهي ترزخ تحت وطأة النفوذ التركي الى حكام الاقاليم القريبة من بغداد للاستعانة بهم من اجل التخلص من سيطرة القادة الاتراك فارسل الخليفة الراضي الى محمد بن رائق امير واسط والبصرة واغراه بمنصب جديد هو امرة الامراء مقابل تخليصه من سيطرة القادة الاتراك، وهذا المنصب يبدو سياسياً وعسكرياً في ان واحد حيث تقلد بن رائق بهد نجاحه (الامارة ورئاسة الجيش... وفوض اليه تدبير المملكة وان يخطب له على جميع المنابر)، ولذلك لم يبق في هذه الفترة من نفوذ الوزارة شيئاً.

تتميز الخلافة في عصر امارة الامراء بالمميزات الاتية:

1- استقرار النفوذ التركي وازدياد نفوذ الجيش واستمرار ظاهرة قتل الخلفاء او التحريض على قتلهم وسلبهم كافة سلطاتهم الدنيوية.

2- تفكك الدولة العربية الاسلامية نفسها حيث استبد امراء الاقاليم بالسلطة فاستفحل امر البويهيين في بلاد الديلم وفارس واستقل الحمدانيون في الموصل وديار بكر وربيعة ومضر وسيطر الاخشيديون على مصر وانفصل السامانيون في خراسان اما في الاندلس فقد تجرأ عبد الرحمن الثالث الناصر على ان يعلن (الخلافة) ويلقب نفسه امير المؤمنين كما شهد العصر تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب وكانت الاباضية تسيطر على عمان.

اما علاقة امير الامراء بالخليفة العباسي فلم تتغير حيث استطاع ابن رائق ان يتمتع بكافة الصلاحيات وباءت محاولات الخليفة الراضي (322-329ه) لتقليل نفوذ ابن رائق بالفشل.

والحقيقة فأن عهد الراضي والمتقي والمستكفي كان عهد نزاع بين القادة المتنافسين حول منصب امير الامراء، واصبح الخلفاء العباسيون العوبة بيد امير الامراء وطرفاً في لعبة التنافس على هذا المنصب، ومن الامثلة على ذلك النزاع بين محمد بن رائق وابي عبد الله البريدي امير الاحواز ثم النزاع بين القائد التركي بجكم وابن رائق وقد استطاع بجكم هذا ان يخلف ابن رائق في منصب امير الامراء.

ثم تحالف محمد بن رائق والبريدي ضد بجكم، ثم استدعي ابن رائق الى بغداد وتقلد منصب امرة الامراء بعد مقتل بجكم المفاجئ، ولكن ابن رائق قتل في الموصل من قبل الامير ناصر الدولة الحمداني حيث تقلد ناصر الدولة منصب امير الامراء في بغداد، ثم استطاع توزون الديلمي صاحب شرطة ناصر الدولة ان يطرد الاخير ويتقلد منصب امير الامراء في بغداد، وهكذا استمر منصب امير الامراء في الفترة المتأخرة بيد الديلم حتى اخذها بنو بويه وهم ديلم ايضاً.

ولابد لنا في خاتمة الحديث عن هذه الفترة ان نقول بأن الخلفاء لم يستكينوا لسيطرة الاتراك بل حاول بعضهم جاهداً لاستعادة سلطاته الدنيوية اما بالاصطدام بهم مباشرة او عن طريق التآمر عليهم وتأليب بعضهم على البعض الاخر، فقد استطاع المتوكل ان يتخلص من القائد ايتاخ ولم ينجح المعتز في التخلص من القائدين وصيف وبغا، ونجح المهتدي في قتل القائد بايكباك والقى برأسه على الجند.

وكان نفوذ الخليفة كبيراً على عهد الموفق (ابي احمد طلحة نائب الخليفة المعتمد) وابنه المعتضد وهي الفترة بين 356-389ه على ان عصر الانتعاش هذا انتهى بمجيء المكتفي الذي عاد فاذعن لقادة الجيش من الاتراك، وهكذا فقد كان اعتماد مؤسسة الخلافة على العنصر التركي وبالأعلى شخص الخليفة ذاته وعلى ادارة الدولة عموماً، وقد حاول بعض الخلفاء مثل المتقي ان يستند على العرب لحماية الخلافة وانعاشها من جديدة ولكن هؤلاء لم يعد لهم من المقدرة للقيام بذلك بعد ان فقدوا مركزهم في الجيش.

الخلافة في مدة التسلط البويهي 334-447هـ

كان بنو بويه يسكنون الديلم جنوبي بحر قزوين وكانوا يدينون بعقائد المذهب الامامي وربما الزيدي الذي دخل بلادهم في اواخر القرن الثالث الهجري.

وقد حذا البويهيون حذو الاتراك فصاروا يستهينون بمركز الخليفة ويعاملونه معاملة لا تليق به ولقد لقب احمد بن بويه بـــ (معز الدولة) واستأثر بالسلطة دون الخليفة الذي لم يبق له من الامر شيء الا الخطبة والسكة وبعض الاراضي التي يعتاش على مواردها ولعلنا نستطيع ان نحدد مميزات الخلافة في هذه الفترة بالاتي:

1- لم يعترف البويهيون بأحقية الخليفة العباسي فلم يبق للخليفة في ايامهم سلطة تذكر وقد احتفظ الخليفة بلقب امير المؤمنين وابقى الامراء البويهيون منصب الخلافة بيد العباسيين لأغراض سياسية لا ترمي الا اعطاء حكمهم صفة الشرعية تساعدهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي.

2- ان خوف البويهيين من ضياع نفوذهم السياسي هو الذي منعهم من تحويل الخلافة الى شخص علوي ويروى بأن معز الدولة فكر في اقامة خلافة علوية في بغداد ولكن احد اصحابه اشار عليه بالعدول عن هذه الفكرة والا فأنه سيكون تحت رحمة خليفة علوي يطيعه الجند ويدينون له بالولاء دون الامير البويهي، وبذلك يستطيع الخليفة العلوي ان يفرض سلطانه على الامير وان يقصيه متى شاء وعلى ذلك فأن ابقاء خليفة عباسي العوبة يجعل هذا الامير محتفظاً بولاء الجند له وبالتالي قوة مركزه بالنسبة للخليفة الضعيف.

3- استمرت عادة خلع الخلفاء وتنصيب خلفاء جدد غيرهم فبعد شهر واحد على دخول معز الدولة بغداد خلع الخليفة المستكفي بالله متهماً اياه بالتآمر حيث دخل عليه جنديان من الديلم وسحباه من مجلسه وربطا عمامته في رقبته واوصلاه الى دار معز الدولة حيث خلع وسملت عيناه ونهبت داره، وحدث الشيء نفسه للخليفة الطائع مع بهاء الدولة البويهي، على ان الخلافة تعرضت اقل في هذا العصر لمهزلة تبديل الخليفة حيث حكم خمسة خلفاء فقط خلال هذه الفترة، وليس مرد ذلك الى احترام البويهيين للخليفة العباسي بل سببه ان الخليفة كان مجرداً من كل سلطة او مسؤولية، فلم يكن هناك داع لعزله الا اذا ظهرت منه بادرة او خطر.

4- اصبح الخليفة رئيساً روحياً فقط وهذا يتجلى بوضوح من رسالة الخليفة المطيع الى الامير عز الدولة بختيار الذي خلف اباه معز الدولة فلقد طلب هذا الامير البويهي مالاً للجهاد من الخليفة فأجابه الخليفة: (الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والي تدبير الامور والرجال اما الان فليس لي منها شيء... وهي في ايديكم فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما ينظر الائمة فيه فان احببتم ان اعتزل، اعتزل واترك الامر كله لكم)، ولكن عز الدولة لم يقتنع بهذه الرسالة بل صادر اموال الخليفة.

5- ان القاب الامراء البويهيين تدل على عظمة نفوذهم وكانوا يضطرون الخليفة لإعطاء هذه الالقاب مثل معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة وعضد الدولة فضلاً عن ذلك فأن الخليفة خلع على معز الدولة لقب (امير الامراء) وبهذا استمر هذا المنصب السياسي العسكري في الفترة البويهية، وقد اضاف الامير البويهي الى نفسه لقب (ملك او شاهنشاه) هذا ولابد من الاشارة الى منصب امرة الامراء في العصر البويهي اصبح وراثياً في عائلة معينة هي ال بويه.

6- لقد اصدر الخليفة الطائع اوامره بضرب الطبول امام دار عضد الدولة وكانت هذه العادة من مميزات دار الخلافة فقط حيث كانت تضرب الطبول وتقرع الابواق بعد اوقات الصلاة امام دار الخليفة، وشارك البويهيون الخليفة في السكة والخطبة وزادوا بأن خطب لهم في بغداد ايضا وهو ما لم يحصل من قبل، واستمرت عادة اظهار الاحترام للخليفة امام الناس فكان يحترم في الحفلات الرسمية بوصفه زعيم المسلمين وكان يردي بردة الرسول (ﷺ) توكيداً لسلطته الدينية التي يلم يبق لديه سواها.

الخلافة في مدة السيطرة السلجوقي

ظهر امر السلاجقة منذ حوالي سنة 420ه-1029م حيث استطاع طغرل السلجوقي ان يكون له نفوذاً سياسياً في خراسان ثم امتد هذا النفوذ ليشمل بلاد فارس والعراق وقد استنجد الخليفة العباسي القائم بطغرل السلجوقي بعد ان تدهور نفوذ البويهيين وهكذا حل النفوذ السلجوقي محل النفوذ البويهي في بغداد سنة 447ه.

ولكن السلاطين لم يرتضوا بالتنازل عن نفوذهم فحدثت المصادمات وذهب بعض الخلفاء احياناً ضحية للمؤامرات التي دبرها السلاطين، كما حدث للخليفة العباسي المسترشد بالله الذي حاول ان يستعيد سلطته الدنيوية فحذره السلطان السلجوقي وارسل له جيشاً قوياً مما حدا بالخليفة الى التراجع عن نواياه، كما تحدى السلاطين الخليفة واتخذوا لقب (ظل الله) وهو لقب من القاب الخليفة العباسي.

ولابد من الاشارة اخيراً الى ان الخلفاء العباسيين وجدوا الفرصة سانحة حين دب الخلاف بين افراد الاسرة السلجوقية فنشطوا للتخلص منهم واستعانوا بالدولة الخوازرمية في المشرق للقضاء نهائياً على النفوذ السلجوقي وبدأ عصر الانتعاش الجديد في الخلافة العباسية سنة 590ه/1194م.

الخلافة العباسية في عصر الانتعاش الاخير:

استطاع الخليفة العباسي الناصر لدين الله انهاء النفوذ السلجوقي سنة 590ه وانجز اصلاحات مهمة على طريق استقلال الخلافة واستعادة هيبتها من السيطرة الاجنبية، فقد اصبح زعيماً لنظام الفترة الذي جمع تحت لوائه حكام الاقاليم وامراء المقاطعات فزاد من عوامل التماسك في الخلافة العباسية، كما شارك في الجهود من اجل استعادة فلسطين من الصليبيين المغتصبين، وبقيت الخلافة مستقلة اكثر من نصف قرن حتى سقطت على يد المغول سنة 656ه/1258م.